﴿ امرأة اليوم وامرأة الامس ﴾

مما لا مشاحة فيه ان انوار العلم التي بعثت اشعتها الوقادة في هذا العصر تخترق حجب الجهل قد اخترقت السدول الكثيفة التي كانت مرخاة على خدر المرأة فاضاءت عليها بعد حالك الاظلام وفتحت عينيها بعد طول الاغماض ورفعتها بعد ذلة الانخفاض وعرفتها حقيقة حالها وقد كانت تمر في العالم مر الخيال في الخاطر او مر الوهم في الفكر فلا يدرى لها بخبر ولا يسمع لها بذكر فكسرت بيدها القيد الذي رسفت به العصور الطوال وخلعت عنها الرداء البالي الذي لم يبدله تبدل الايام والاحوال وخرجت الى عالم جديد تستهدي بضياء ذاك النور وراحت في اثر الرجل تجد السير حتى قطعت شوطاً بعيداً تستحثها الحرية ويقودها العلم وبلغت من العلى المكان الرفيع ولسان حالها يقول

لاستسهلن الصعب او ابلغ المنى فما انقادت الامال الا لصابر

على انه اذا لم يكن من نعم هذا العصر وحسناته الا ترقية شأن المرأة وتشريف مكانتها لكفى بها نعمة تتقاضانا وافر الشكر والحمد ومن شاء ان يرى بعينيه الفوائد التي عادت من ذلك على المدنية فليقابل بين حال المرأة اليوم وحالها بالامس يتبين الفرق عجيباً مدهشاً بالنسبة الى الشقة الشاسعة التي جازتها المرأة في وقت قصير يكاد لا يتجاوز الفرق بين عمر الام وابنتها

الا ترى كيف كان حال الامرأة من ربع قرن وماذا كانت منزلتها انها كانت ولا ذنب لها ولا جناح عليها تمثل الجهل بتمامه فلا مدارس تعلمها العلم الصحيح وتفتح عينيها للنور المبدد لظلمات الجهالة ولا تربية جدية تصلح

شأنها وترفع مكانها ولا عشرة ادبية تلطف اخلاقها وتحسن آدابها فكانت تنشأ في منزلها ناهجة نهج امها معدمة من العلم الا بعض تقاليد خرافية غرسها الجهل وتعاهدتها سخافة العقل حتى تصبح متى تزوجت وهي ثقيلة الحمل على عاتق زوجها آفة لتربية اولادها قليلة الحيلة سيئة التدبير تحسب البخل تقتيراً والاسراف جوداً عاطلة من الفضائل الكبرى التي تزين المرأة وتزيدها رفعة وكمالا دائمة الصخب سريعة الغضب على غير سبب الا خلق سيء تعمل به على تكدير الصفاء الداخلي والهناء العائلي لا حديث لها فيستظرف ولا رأي فيستصوب عريقة الجهل حتى تحسب العالم دارة دارها واحوال الدنيا جعبة اخبارها وما اخبارها الا الطبخ والنفخ وما شاكل ذلك مما يمجه الذوق ولا يأتي بفائدة ولا عائدة وبالجملة فقد كانت كما تكون الزهرة التي لم تتنشق انفاس النسيم ولم تطلع عليها الشمس التي تملاها حياة وقوة

اما امرأة اليوم فنباينها اشد المباينة فكأنها خليقة جديدة بل هي المرأة الحقيقية التي يجب ان تكون بنت العصر فقد استنار عقلها بنور العلم والعرفان في مدارس تطلع المعارف فيها شموساً واقماراً واستقت الفضائل من منهلها العذب الذي يجري صافياً مدراراً فخرجت منها عالمة نيرة عارفة ماهية مركزها وخطارة الوظيفة التي انتدبتها لها الطبيعة وحلت في منزلها ربة حازمة مدبرة تديره بالرأي السديد والفكر الصائب تستفيد من عشرة المجالس والمجتمعات العائلية الادبية مافاتها اقتباسه على مقاعد المدارس والمكاتب حتى اذا تزوجت كانت شريكة الرجل لا امته ورفيقته لا جاريته تعلم ما عليها وما لها من الحقوق والواجبات ويكفيها فخراً انها توصلت بالعلم الى حمل الرجل على الاقرار لها بحقوق انكرها عليها سابقاً لجهلها حتى صار يكرمها بعد الامتهان

ويقدمها عليه بعد الخذلان ويجلها بعد الاحتقار ويبذل في سبيلها المهجة الغالية ويطلعها على امواله واشغاله ويستمد آراءها ويستنجد بحيلتها وقد كان لا يحسب لها حساباً وينيط بها ادارة بيته وتربية اولاده معتمداً على رجاحة عقلها وسداد رأيها وانقطع هو لكسب المال في الخارج. وفوق ذلك فان امرأة اليوم قد تمكنت بعلمها من بلوغ منزلة رفيعة بحيث صار لا ينهض مشروع الا لتعضيدها ولا يتم سرور الا بوجودها اذا انعقد مجلس كانت في صدره وكانت زينته وبهجته تلم باطراف الحديث ان لم يكن عن مشاركة في الكلام فعن مشاركة في فهمه وادراك موضوعه مختلبة العقول بحسن الفاظها وعذوبة حديثها وقد كانت فيما مضى يطرق الزائر بابها فتختبىء وراء الباب او تظهر امامه مستورة الوجه بالنقاب تكلمه وهي مطرقة حياء

لا شك ان امرأة اليوم حسنة من حسنات هذا العصر المجيد عصر النور والعلم ولولاه لبقي هذا الجنس اللطيف حيث تركته امرأة الامس جاهلا ذليلا مهاناً مهضوم الحق لا يجسر على رفع صوته للمطالبة به ولا الولوج في هذه الطريق الجديدة من التقدم والنجاح التي استفتحت مغالقها وولجتها غير متهيبة ولا وجلة ترفع لواء الحرية والمساواة بالرجل وتخوض معه غمرات هذا العالم وتسعى واياه نحو الكمال

وكلامنا هذا وان كان يطلق على المرأة الشرقية المسيحية فما نحن بناسين ان وراء القناع ايضاً علما صحيحاً وادباً باهراً وفضائل سنية مما يدل على نهضة شريفة وترقٍ ظاهر للعيان وان تكن النسبة فيه ضعيفة جداً الى جنب عدد السكان ولكن الرجاء معقود بحكومتنا الحكيمة ان تصرف شيئاً من عنايتها الى

اصلاح شأن المرأة وتحسين حالها اذ بذلك اصلاح الوطن وتحسين حاله وما ذلك عليها بعزيز

ملجأ الفقراء

لقد انتقلت الى رحمته تعالى في هذه المدة قرينة جناب اللورد كرومر وكيل انكلترا السياسي في هذا القطر فشق نعيها على الجميع لما كانت موصوفة به من جميل الخلال ولطف الاخلاق وقامت جرائد البلاد تؤبنها وتصف حسناتها وهو تأبين نشارك الكل فيه لاعتقادنا بوافر ادبها وعظيم كرمها واحسانها على الفقراء وهو ما كانت مشهورة فيه بالخصوص ولا سيما على فقراء هذه البلاد التي قطنت فيها دهراً طويلاً . ثم تألفت بعد ذلك لجنة من اكابر هذه البلاد تدعو الناس الى بذل المال لاقامة اثر خيري تذكاراً لهذه المحسنة من جهة واحساناً للفقراء المعوزين من جهة ثانية حتى يكون نعتها بالاحسان مصاحباً لها في حالي حياتها وموتها وهو عمل مشكور جداً لا يعترض عليه بوجه من الوجوه اذ لا يصح لاحد ان يقف في طريق الاحسان او يريد محسن تمد لاعانة فقير ولكن هذا الشأن قد نبهنا الى امر نخرج به قليلاً من حد الشكر والثناء الى حد الدلالة على التقصير الشديد الذي نحن فيه

فلقد يعلم الجميع ان بلاد مصر من افقر بلاد الله وان رجال الكفاف فيها